إليه أوحاه مما بعضها التي " السلام عليه " داود أقوال لجموع اسم : والزبور A E وبعضها مما ألهمه من دعوات ومناجاة وهو المعروف اليوم بكتاب المزامير من كتب العهد القديم .

(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا [56]) لم أر لهذه الآية تفسيرا يثلج له الصدر والحيرة بادية على أقوال المفسرين في معناها وانتظام موقعها مع سابقها ولا حاجة إلى استقراء كلماتهم . ومرجعها إلى طريقتين في محمل (الذين زعمتم من دونه) إحداهما في تفسير الطبري وابن عطية عن ابن مسعود والحسن . وثانيتهما في تفسير القرطبي والفخر غير معزوة لقائل .

والذي أرى في تفسيرها أن جملة (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) إلى (تحويلا) معترضة بين جملة (ولقد فضلنا بعض النبيين) وجملة (أولئك الذين يدعون) . وذلك أنه لما جرى ذكر الأفضلين من الأنبياء في أثناء آية الرد على المشركين مقالتهم في اصطفاء محمد A للرسالة واصطفاه أتباعه لولايته ودينه . وهي آية (وربك أعلم بمن في السماوات والأرض) إلى آخرها جاءت المناسبة لرد مقالة أخرى من مقالاتهم الباطلة وهي اعتذارهم عن عبادة الأصنام بأنهم ما يعبدونهم إلا ليقربوهم إلى ا زلفى فجعلوهم عبادا مقربين ووسائل لهم إلى ا . فلما جرى ذكر المقربين حقا انتهزت مناسبة ذكرهم لتكون مخلصا إلى إبطال ما ادعوه من وسيلة أصنامهم على عادة إرشاد القرآن من اغتنام مناسبات الموعظة . وذلك من أسلوب الخطباء . فهذه الآية متصلة المعنى بآية (قل لو كان معه آلهة كما تقولون إذن لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) . فبعد أن أبطل أن يكون مع ا آلهة ببرهان العقل عاد إلى إبطال إلهيتهم المزعومة ببرهان الحس وهو مشاهدة أنها لا تغني عنهم كشف الضر .

فأصل ارتباط الكلام هكذا : ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا أولئك الذين يدعون يبتغون الآية . فبمناسبة الثناء عليهم بابتهالهم إلى ربهم ذكر ضد ذلك من دعاء المشركين آلهتهم . وقدم ذلك . على الكلام الذي أثار المناسبة اهتماما بإبطال فعلهم ليكون إبطاله كالغرض المقصود ويكون ذكر مقابله كالاستدلال على ذلك الغرض . ولعل هذه الآية نزلت في مدة إصابة القحط قريشا بمكة . وهي السبع السنون التي هي دعوة النبي A : (اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف) . وتسلسل الجدال وأخذ بعضه بحجز بعض حتى انتهى إلى هذه المناسبة .

والملك بمعنى الاستطاعة والقدرة كما في قوله (قل فمن يملك من ا شيئا) وقوله (قل

أتعبدون من دون ا ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) في سورة العقود .

والمقصود من ذلك بيان البون بين الدعاء الحق والدعاء الباطل . ومن نظائر هذا المعنى في القرآن قوله تعالى (إن وليي ا الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) في سورة الأعراف .

والكشف : مستعار للإزالة .

والتحويل : نقل الشيء من مكان إلى مكان أي لا يستطيعون إزالة الضر عن الجميع ولا إزالته عن واحد إلى غيره .

(أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أنهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذاب ربك كان محذورا [57] والإشارة ب (أولئك الذين يدعون إلى النبيين لزيادة تمييزهم .

والمعنى : أولئك الذين إن دعوا يستجب لهم ويكسف عنهم الضر وليسوا كالذين تدعونهم فلا يسلكون كشف الضر عنكم بأنفسهم ولا بشفاعتهم عند ا كما رأيتم من أنهم لم يغنوا عنكم من الضر كشفا ولا صرفا .

وجملة (يبتغون) حال من ضمير (يدعون) أو بيان لجملة (يدعون) .

والوسيلة : المرتبة العالية القريبة من عظيم كالملك .

و (أيهم أقرب) يجوز أن يكون بدلا من ضمير (يبتغون) بدل بعض وتكون (أي) موصولة . الذي هو أقرب من رضى ا يبتغي زيادة الوسيلة إليه أي يزداد عملا للازدياد من رضى ا عنه واصطفائه .

ويجوز أن يكون بدلا من جملة (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) (أي) استفهامية أي يبتغون معرفة جواب : أيهم أقرب عند ا .

وأقرب : اسم تفضيل ومتعلقة محذوف دل عليه السياق . والتقدير : أيهم أقرب إلى ربهم .

A E